

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 30 المروم، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ المرعد 28 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُم﴾ المرعد 29، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ 1 ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ 2 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ 3 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ 4 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ 5. المؤمنون

الدلالة الشرعية:

تشير الآيات الكريمة إلى أن النفس البشرية مفضولة على الإيمان والعبادة، وأن في الأعمال الصالحة صلاحاً وشفاءً لها.

الحقيقة العلمية:

لقد أصبح الاستغراق في العبادة مجالاً للدراسات العلمية، ولم يعد الإيمان بالله تعالى في الدراسات العلمية ضرباً من الفلسفات والمتصورات الشخصية كما كان يعتقد البعض سابقاً، وقد كشفت التجارب العلمية مؤخراً أن الإيمان بالله تعالى نزعاً فطرية وغريزة تتطلب الإشباع مثل طلب الطعام والشراب، وأن العبادة بخشوع وشفاء واضطرابات النفس البشرية.

وخلاصة الأبحاث التي أجريت على المخ بتقنية جديدة لأشعة إكس ونشرت في أبريل عام 2001م وقام بها فريق علمي على رأسه البروفيسور أندرو نيوبيرج Newberg Andrew أستاذ علم الأشعة Radiology بكلية الطب بجامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية هي أن الإيمان بالله مقصد مصمم داخلياً Design in-Built في مخ البشر، بحيث لا يمكن لأحد التخلص منه إلا تعامياً عن المفطرة السوية التي جعلت الإنسان ينزع للتدين على طول التاريخ، وتعطيلاً لقدرات هائلة وإمكانات بالغة التعقيد والمتطور تمكنه من الاستقراء والتحليل المنطقي والتفكير الاستنتاجي.

ووفق ما أعلنه البروفيسور نيوبيرج أن التدين مهما اختلفت صورته يعكس إيماناً فطرياً مركزاً في داخل المخ الذي يمكن وصفه طبقاً لما أثبتته التجارب بأنه مهياً المسالك بقوة نحو التدين Religion for wired-hard، والتجربة العلمية تخبرنا كيف أعد الله تعالى الإنسان لكي

يعرفه، وتعلمنا أن الدين مطلب طبيعي للإنسان يماثل الطعام والشراب، وبهذا نزداد يقيناً في وجود الله تعالى وقدرته، وإلا فلا فائدة من الملكات الممنوحة للإنسان والتي ميزته عن العجماءات، وإذا صاحب الخشوع أداء العبادة، فستصبح ذات تأثير فعال دافع للبدن والنفس يمكن قياس تأثيره معملياً، ومن هذا المنطلق يقول نيوبيرج: " لقد اكتشفت الدراسات النفسية الدينية ثراء الدين بأرقى الأساليب العلمية لبلوغ التوازن النفسي"، وقال البروفيسور لورنس ميكيني عميد المؤسسة الأمريكية لعلاج الاضطرابات الذهنية: " إن ممارسة التأمل العميق، باعتباره صورة من صور الخشوع، قد يساعد في حد ذاته على التغلب على الشعور بالألم النفسي والإحباط ويعيد التوازن في توزيع النشاط في مراكز المخ، ويضخ شحنات الشعور بالمتعاسة والألم وفقدان الأمل، حتى عند غير المؤمنين".

وقد بدأت الدراسات النفسية الدينية في الستينيات من القرن الماضي، وفي عام 1980م أطلق ميكيني ومساعدوه على تلك الدراسات مصطلح الدراسات النفسية الدينية Theology-Neuro، وأخرج عام 1944م كتابه بنفس الاسم، ويقدم هذا العلم تأييده التام للحقيقة الجوهرية في الدين وهي الإيمان بالله تعالى، قال ميكيني: " ويكفي أننا قد أوجدنا طرقاً عملية لقياس الأنشطة الفكرية ولم يعد الإيمان بالله تعالى والمشاعر الدينية خلال العبادة نشاطاً فكرياً غير قابل للتجربة والإثبات، ومن تلك التقنيات الجديدة التصوير بالرنين المغناطيسي Imaging Resonance Magnetic MRI، والتي أكدت نتائج نيوبيرج بالفعل"، وقال البروفيسور بليتريني من جامعة بيزا في إيطاليا: " إن كل شيء نفعه أو نستشعره من نشاط بسيط كحركة إصبع إلى أعمق الانفعالات العاطفية الخبيثة بالنفس أو البادية مثل الغضب والحب يرسم خريطة مميزة المعالم للمراكز المتأثرة بالمخ، ويصاحب كل شعور نموذج محدد يمكن تسجيله وتحليله كالتحليل الطبية العضوية تماماً، وهذا المجال الجديد لاستطلاع دخيلة الإنسان من عواطف ومشاعر وأفكار ومدى تأثيره بالاعتقاد الديني ساحر حقاً، ويدخل فيه الباحثون اليوم بحذر شديد حريصين على المنهج العلمي في البحث والتحليل كبقية مجالات العلوم التجريبية"، وقال البروفيسور مايكل ماكلوف من جامعة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية: " يتأثر الوجدان النفسي الروحي بالعالم الخارجي ويؤثر في الجسد العضوي ويمثل الإيمان والعبادات صمام أمان لتلك التأثيرات الطبيعية، وقد أفضت دراسته إلى أن الطبيعة البشرية مصممة بحيث تحفظها العبادات في توازن تام وتقيها الاضطراب"، وفي تحليل شمل 42 دراسة ميدانية واسعة وجد بروفيسور ماكلوف أن معدل الوفيات يقل بالاستغراق في الصلوات وبقية العبادات، وهذا التأثير مستقل عن عوامل أخرى مضرّة بالصحة كتناول الخمر والتدخين، ولم يفت البروفيسور نيوبيرج أن يعلق على تلك النتيجة بقوله: " نحن لا ندري حتى الآن على وجه اليقين كيف يؤدي الإيمان العميق والاستغراق في العبادة إلى الحفاظ على سلامة النفس وصحة البدن ومكافحة المرض وتعطيل الإسراع في عمل الآليات الداخلية للموت، ولكن معرفتنا لآليات عمل الجسم، خاصة المخ، تؤهلنا لتلمس آفاق جديدة من البحث لنثبت يوماً ما بحياد وجود تأثيرات عضوية للإيمان والعبادة، ونذكر منها اليوم نقص عدد ضربات القلب وضغط الدم وتغير الهورمونات كماً ونوعاً والميل العصبي لتحقيق حالة من الهدوء نتيجة الخشوع والاستغراق، وقد تؤدي تلك العوامل وغيرها إلى تنشيط جهاز المناعة".

